٢٤ الأدب زينة وجمال

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: إن الأدب زينة وجمال الإنسان وهو سبب للرفعة في

الدنيا والآخرة والأدب هو الدين كله وهو أغلى وأعظم من النسب.

ولما كان هذا الموضوع من الأهمية بمكان أحببت أن أتحدث عنه في النقاط التالية:

١- تعريف الأدب.

٢- أقسامه .

٣- فضله .

٤- عقوبة من ترك الأدب.

٥- أدب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٦- أدب السلف الصالح.

٧- بعض الطرق لاكتساب الأدب.

أما تعريفه فقد قال عبد الله بن المبارك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: قد أكثر الناس القول في الأدب ونحن نقول : إنه معرفة النفس ورعوناتها وتجنب تلك الرعونات. (١)

والرعونة: هي الحُمق والإستر خاء

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:وحقيقة الأدب استعمال الخُلق الجميل (٢)

وقال بعضهم الأدب اجتماع خصال الخير في العبد. (٣)

وأما أقسامه فثلاثة أقسام:

١- الأدب مع الله: وهو القيام بدين الله والتأدب بآدابه ظاهرًا وباطنًا

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : ولا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله إلا

(١) مدارج السالكين ج٢(٤٢٦) .
(٢) مدارج السالكين ج٢(٤٣٠) .
(٣) مدارج السالكين ج٢(٢٢٤) .

بثلاثة أشياء معرفته بأسمائه وصفاته ومعرفته بدينه وشرعه وما يحب وما يكره ونفس مستعدة قابلة لينة متهيئة لقبول الحق علمًا وعملًا وحالًا والله المستعان.(١)

٢- الأدب مع رسول الله ﷺ :وهو كمال التسليم والانقياد له .

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ [الحجرات :٢] .

٣- الأدب مع الخلق كالوالدين والعلماء و الأمراء.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ ﴾[الإسراء :٢٣-٢٤] .

أما فضله قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾[التحريم :٦] .

قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ أدبوهم وعلموهم .(٢)

وقال مجاهد بن جبر -رَحِمَهُ اللَّهُ- : أوصوا أنفسكم وأهليكم بتقوى الله وأدبوهم.(٣)

---

(١) الضوء المنير ج٣(١٤٦) .
(٢) المستدرك ج٢(٥٣٥) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .
(٣) البخاري ج٨(٥٢٧) .

ولهذا قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : والأدب هو الدين كله.[١]

والأدب سيادة لأهله قال بعض الحكماء أربعة يسود بها العبد العلم والأدب والفقه والأمانة .[٢]

وقال بعض السلف: ناهيك من شرف الأدب أن أهله ، متبوعون والناس تحت راياتهم ، فيعطف ربك تعالى عليهم قلوبًا لا تعطفها الأرحام، وتجتمع بهم كلمة لا تأتلف بالغلبة ، وتُبذل دونهم مهج النفوس.[٣]

ومن لم يتأدب فحياته مقيتة ، ولهذا يقول الإمام سفيان الثوري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- من لم يتأدب للوقت فوقته مقت.[٤]

وكمال الأدب يدل على كمال العقل ، قال بعض العلماء: ليس العاقل وإن كان تامًا بمستغنٍ عن الأدب ، والعلم الذين هما زينته وجماله.[٥]

وقال بعض السلف : العقل بلا أدب كالشجر العاقر ، ومع الأدب كالشجر المثمر.

وقال بعضهم : لا أدب إلا بعقل ولا عقل إلا بأدب وكان يقال : من قعد به حسبه نهض به أدبه .

وقال بعضهم : الأدب يستر قبح النسب ، وقيل الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والحسب ، لأن من ساء أدبه ضاع نسبه ، ومن قل عقله ضل أصله.

فيا عباد الله ما أحوجنا إلى الآداب الإسلامية فقد كان ابن المبارك

---

(١) مدارج السالكين ج٢(٤٣٣) .
(٢) لباب الآداب ص(٢٢٨)للسفاريني .
(٣) لباب الآداب ص(٢٣٤)للسفاريني .
(٤) لباب الآداب ص(٢٢٨)للسفاريني .
(٥) لباب الآداب ص(٢٣٢)للسفاريني .

-رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- يقول : نحن إلى كثير من الأدب ، أحوج منا إلى كثير من الحديث.

وأما عقوبة ترك الأدب فقد قال عبد الله بن المبارك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السُنن ، ومن تهاون بالسُنن عوقب بحرمان الفرائض ، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة. (١)

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : وأدب المرء عنوان سعادته وفلاحه ، وقلة أدبه: عنوان شقاوته وبواره ، فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب . (٢)

وقال بعض السلف: الزم الأدب ظاهرًا وباطنًا فما أساء أحد الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهرًا ، وما أساء أحد الأدب في الباطن إلا عوقب باطنًا. (٣)

وقال الحافظ ابن عساكر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (٤) كان العبدري أحفظ شيخ لقيته، وكان فقيها داوود يًا، ذكر أنه دخل دمشق في حياة أبي القاسم بن أبي العلاء، وسمعته وقد ذكر مالك، فقال: جلف جاف، ضرب هشام بن عمار بالدرة، وقرأت عليه « الأموال » لأبي عبيد، فقال وقد مر قول لأبي عبيد : ما كان إلا حمارًا مغفلًا لا يعرف الفقه.

وقيل لي عنه: إنه قال في إبراهيم النخعي: أعور سوء، فاجتمعنا يومًا عند ابن السمرقندي في قراءة كتاب « الكامل » ، فجاء فيه: وقال السعدي كذا، فقال: يكذب ابن عدي، إنما ذا قول إبراهيم الجوز جاني، فقلت له:

(١) مدارج السالكين ج ٢(٤٣٠) .
(٢) مدارج السالكين ج ٢(٤٤٠) .
(٣) مدارج السالكين ج ٢(٤٣٠) .
(٤) سير أعلام النبلاء ج١٩(٥٨١) .

فهو السعدي، فإلى كم نحتمل منك سوء الأدب، تقول في إبراهيم كذا وكذا، وتقول في مالك جاف، وتقول في أبي عبيد ؟ ! ، فغضب وأخذته الرعدة، وقال: كان ابن ا لخا ضبة والبرداني وغيرهما يخافوني، فآل الأمر

إلى أن تقول في هذا ؟ ! فقال له ابن السمرقندي: هذا بذاك، فقلت: إنما نحترمك ما احترمت الأئمة.

نسأل الله - جَلَّوَعَلَا - أن يوفقنا وإياكم للتأدب بآداب الإسلام وتعاليمه.

والله المستعان.

الخطبة الثانية :

الحمد لله وحده حمدًا يكافئ نعمه ويدافع نقمه ، وأشهد أن لا إله إلا الله لا إله غيره ، ولا شريك معه وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، بالحق أرسله وبجميل الصفات طهره وزينه ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الأوفياء البررة ، **أما بعد:**

فأعظم الناس أدبًا الأنبياء والمرسلون -عليهم الصلاة والسلام- فهذا نبينا محمد ﷺ قال الله عنه في شأن المعراج ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم :١٧] .

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : ما ذهب يمينًا ولا شمالًا وقوله ﴿ وَمَا طَغَىٰ ﴾ أي ما جاوز ما أمر به .

قال ابن كثير -رحمه الله- وما أحسن ما قال الناظم:

رأى جنة المأوى وما فوقها ولو رأى غيره ما قد رآه لتاها

وهذا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال الله تعالى عنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[المائدة :١١٦] .

فانظر إلى أدب عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ربه﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ﴾ ولم يقل لم أقله ثم قال﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ فنفى العلم

عن نفسه وأثبت العلم لله وعظم ربه فقال ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾

وهذا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال الله عنه أنه قال : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ ﴾ [الشعراء :٧٨-٨١] .

فتأمل كيف قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ ولم يقل أمرضني حفظًا للأدب مع الله.

وهذا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال : ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[القصص :٢٤] ولم يقل أطعمني.

وهذا آدم وزوجه عليهما السلام ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[الأعراف :٢٣] .

ولم يقولا ربنا قدرت علينا وقضيت علينا.

وهذا أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال الله عنه :﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء :٨٣] . فانظر كيف فوض الأمر لله ولم يقل عافني واشفني كل هذا تأدبًا مع الله.

وهذا يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال الله عنه : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[يوسف :١٠٠] .

فتأمل كيف قال :﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ ﴾ولم يقل من الجب ، لئلا يذكر إخوته صنيعهم بعد عفوه عنهم لأنه قال لهم قبل ذلك: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾.

قال بعض السلف : ذكر الجفاء في وقت الصفا جفاء .

ثم قال ﴿ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ ﴾ ولم يقل رفع عنكم جهد الجوع والحاجة أدبًا معهم ، ثم قال: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓ ﴾ فقدم نفسه وأخر إخوته وأحال ذنوبهم على الشيطان تكرمًا منه وأدبًا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

وهذا الخضر عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قال الله عنه: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴾ [الكهف :٧٩] ، ولم يقل فأراد ربك أن أعيبها .

وقال في الغلامين اليتيمين : ﴿ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴾[الكهف :٨٢] .

ومنه قول مؤمني الجن: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴾[الجن :١٠] ، فلم يقولوا في باب الشر أراد بهم ربهم لكن في الخير قالوا : ﴿ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴾

ومنه قوله ﷺ : « والشر ليس إليك » . (١)

وأما ما كان عليه السلف من الأدب ، فهذا باب واسع ولكن حسبنا أن نذكر بعض الأمثلة ، فهذا العباس بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ يُسأل أنت أكبر أو النبي ﷺ فيقول : هو أكبر وأنا ولدت قبله. (٢)

لأنه لو قال : أنا أكبر منه لأوهم كبر المقام ، ومراده كبر السن.

وهذا عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أخذ لزيد بن ثابت بالركاب فقال:

---

(١) مسلم برقم (٧٧١) عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ .
(٢) السير ج٢(٩٧) .

تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال: هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا .[١]

وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له .[٢]

وهذا الإمام مالك -رَحِمَهُ اللَّهُ- : كان إذا سُئل وأجاب لا يراجع هيبة له وأدبًا معه حتى قال الشاعر:

يأبى الجـواب فلا يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقـان

أدب الوقار وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان

وهذا الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللَّهُ- قال: أبو زرعة كنت عند أحمد بن حنبل فذُكر إبراهيم بن طهمان -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- وكان متكئًا من علة فجلس وقال لا ينبغي أن يُذكر الصالحون فيُتكأ .[٣]

وقال أحمد بن سنان :كان عبد الرحمن بن مهدي لا يُتحدث في مجلسه ولا يُبرى قلم ولا يقوم أحد كأنما على رؤوسهم الطير أو كأنهم في صلاة .

وهذا الإمام المبجل الشافعي -رَحِمَهُ اللَّهُ- يقول:كنت أصفح الورقة بين يدي مالك -رَحِمَهُ اللَّهُ- صفحًا رفيقًا هيبة له لئلا يسمع وقعها.[٤]

ولما كان الإمام الشافعي -رَحِمَهُ اللَّهُ- يتأدب مع العلماء مع جلالة قدره وعلمه تأدب الطلاب معه.

فهذا الربيع بن سليمان صاحب الإمام الشافعي يقول -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-

---

(١) الطبقات الكبرى ج٢(٣٦٠) .
(٢) البخاري برقم (٤٩١٣) ومسلم برقم (١٤٧٩) .
(٣) السير ج٧(٣٨١) .
(٤) المجموع ج١(٦٣) .

:والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليّ هيبة له [١]

وكان بعض السلف إذا ذهب إلى معلمه يتصدق بشيء ويقول اللهم استر عيب معلمي عني ولا تذهب بركة علمه مني. [٢]

عباد الله: وهناك طرق عظيمة لاكتساب الأدب فمن ذلك:

تربية النشيء على الآداب ولله در من قال:

قد ينفع الأدب الأحداث في صغر وليس ينفع عند الشيبة الأدب

وقال آخر:

لا تأسفن على الصبيان إن ضربوا فالضرب يبرأ ويبقى العلم والأدب

فالضرب ينفعهم والعلم يرفعهم لولا الإخافة ما خطوا ولا كتبوا

وقد قيل: من أمن العقوبة أساء الأدب .

وأعظم من هذا كله قول النبي ﷺ : « علقوا السوط حيث يراه أهل البيت، فإنه لهم أدب » . [٣]

ولهذا قال بعض السلف: بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال وتفرق البال.

وقال بعضهم: إذا أردت أن ترغم أنف عدوك فربِّ ولدك .

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولا يلين إذا قومته الخشب

---

(١) المجموع ج١(٦٣) .

(٢) المجموع ج١(٦٢- ٦٣) .

(٣) الطبراني ج١٠(٢٨٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما. والصحيحة برقم (١٤٤٧) .

وقد قيل: ما ورثت الآباء الأبناء شيئًا أفضل من الأدب.

ولقد كان السلف الصالح يشجعون أبناءهم على الآداب فهذا لقمان الحكيم الذي أخبر الله عن مواعظه ونصائحه لابنه قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان :١٣-١٩].

وقال حبيب بن الشهيد لابنه : يا بني اصحب الفقهاء والعلماء وتعلم منهم وخذ من أدبهم فإن ذلك أحب إلي من كثير من الحديث.

وقال آخر لابنه : يا بني لأن تتعلم بابًا من الأدب أحب إلي من أن تتعلم سبعين بابًا من أبواب العلم.

وقال الإمام مالك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : كانت أمي تعممني وتقول لي اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه.

ومن طرق اكتساب الأدب ، مصاحبة المربين والمؤدبين.

ومن طرق اكتساب الأدب، مجاهدة النفس على ذلك قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت :٦٩].

ومن طرق اكتساب الأدب ، كثرة الدعاء أن يرزقك الله الأدب .

نسأل الله العليَّ الأعلى أن يرزقنا الأدب الجم ، والخُلق الحسن، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا ، وأن يهدينا سُبل السلام ، وأن يكفينا شر كل ذي شر ، إنه خير مسؤول وخير مأمول.

والحمد لله رب العالمين.